

تفسير ابن كثير

هذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون : وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وآخرى يتخذونها هزوا يستهزئون بها ولعبا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وفكرهم البارد كما قال القائل : .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم .

وقوله تعالى : { من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار } من ههنا لبيان الجنس كقوله { فاجتنبوا الرجز من الأوثان } وقرأ بعضهم : والكفار بالخفض عطا وقرأ آخرون بالنصب على أنه معمول { لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم } تقديره ولا { الكفار أولياء } أي لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء والمراد بالكفار ههنا المشركون وكذلك وقع في قراءة ابن مسعود فيما رواه ابن جرير { لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار } .

وقوله { واتقوا } إن كنتم مؤمنين { أي اتقوا } أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذ هؤلاء هزوا ولعبا كما قال تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير } .

وقوله : { وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا } أي وكذلك إذا أدنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب { اتخذوها } أيضا { هزوا ولعبا } ذلك بأنهم قوم لا يعقلون { معاني عبادة الله وشرائعه وهذه صفات أتباع الشيطان الذي [إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص أي ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل فإذا ثوب للصلاة أدبر فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه فيقول : اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين قبل السلام] متفق عليه وقال الزهري : قد ذكر الله التأذين في كتابه فقال { وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا } رواه ابن أبي حاتم .

وقال أسباط عن السدي في قوله { وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا } قال : كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي : أشهد أن محمدا رسول الله قال : حرق الكاذب فدخلت خادمة ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت فاحترق هو وأهله رواه ابن جرير و ابن أبي حاتم وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في

السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحرث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحرث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال [قد علمت الذي قلتم] ثم ذكر ذلك لهم فقال الحرث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة أن عبد الله بن محيريز أخبره وكان يتيما في حجر أبي محذورة قال : قلت لأبي محذورة : يا عم إني خارج إلى الشام وأخشى أن أسأل عن تأذيتك فأخبرني أن أبا محذورة قال له : نعم خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حنين مقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون فصرخنا نحكيه ونستهزئه به فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلينا أن وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع] ؟ فأشار القوم كلهم إلي وصدقوا فأرسل كلهم وحسني وقال [قم فأذن] فقامت ولا شيء أكره إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرني به فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم التأذين هو بنفسه قال [قل الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله] ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة ثم أمرها على وجهه ثم بين ثدييه ثم على كبده حتى بلغت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم سره أبي محذورة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [بارك الله فيك وبارك عليك] فقلت : يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة فقال [قد أمرتك به] وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهة وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم A فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم A وأخبرني ذلك من أدركت من أهلي ممن أدرك أبا محذورة على نحو ما أخبرني عبد الله بن محيريز عن أبي محذورة واسمه سمرة بن معير بن لوزان أحد مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم A الأربعة وهو مؤذن أهل مكة وامتدت أيامه B وأرضاه